

عنوان المحاضرة: صيانة وترميم الممتلكات الثقافية.

د.بن زغادي

- 1- مفهوم الصيانة والترميم.
- 2- نشأة عملية الصيانة والترميم.
- 3- الطرق المتبعة في الترميم.
- 4- مراحل عملية الترميم.
- 5- الشروط العامة لعملية الصيانة والترميم.

تمهيد:

يعتبر موضوع الصيانة والترميم من المواضيع المهمة في مجال علم الآثار، بل هو أكثر من ذلك، إذ يشكل عموده الفقري، لما له من أهمية بارزة في الحفاظ على الممتلكات الثقافية المادية الثابتة والمنقولة على حدٍ سواء، وتكمن حقيقة الحفاظ في الإبقاء قدر الإمكان على القيم المميزة لها التي حدّدها المجلس الدولي (القيمة الفنية- القيمة التاريخية- القيمة الروحية- القيمة الرمزية- قيمة الأمانة) المحددة من طرف المجلس الدولي للمعالم التاريخية والمواقع الأثرية (ICOMOS).

1- مفهوم الصيانة والترميم:

1-1 مفهوم الصيانة: (Entretien)

أ- لغة: يرجع أصله اللغوي إلى الكلمة اللاتينية Conservatio التي تعني الحفاظ والصيانة والعلاج، و[] يقتصر معناها على ذلك فقط، بل أستخدم أيضاً في الحفاظ على البيئة، وهو في كلتا الحالتين المصطلح يفيد معنى الحفاظ، وهناك كلمة أخرى مشابهة لكلمة الحفاظ باللغة الفرنسية وهي Conservatoire التي بدأ استعمالها في سنة 1789م للدلالة على معهد الموسيقى الذي يهتم بالحفاظ على التراث الموسيقي الأوروبي ويمنعه من الضياع والافتباس.

وحسب ما يراه بعض المتخصصين في علم الآثار أنه على الرغم من قدم مصطلح الترميم عن مصطلح الصيانة، إلا أن هذا الأخير أصبح الأكثر تداولاً في لفحات الكتب، فقد توارى مصطلح الترميم في المواضيع التي تعالج كيفية ترميم ولبيانة التراث المادي المنقول والثابت، وربما يعزى ذلك للإحساس الذي انتاب المختصين جرّاء اللتنقادات التي وُجّهت للكثير من أعمال الترميم الخاطئة، فهي ليست إجراء ميداني يهدف إلى التقوية فقط، إنما هو علم وفن في نفس الوقت.

ب- اصطلاحاً: تُعرّف هذه العملية على أنها المراقبة والتفقد الدوري للحالة التي هي عليها المعالم التاريخية واللقي الأثرية وبقايا المواقع الأثرية، ويمكن لهذه العملية أن تكون قبل وبعد عملية الترميم وهي تحول دون تفاقم الضرر في الشواهد الأثرية، مثلاً إلابح أنابيب لرف المياه القديمة في المدن العتيقة، وتصريف مياه الأمطار من أسطح وحول أساسات المباني الأثرية، هذه التدخلات من شأنها وقاية العناملر الحاملة كالأسوار والأعمدة والقباب لأنها سريعة التأثر بالرطوبة.

1-2 مفهوم الترميم: (Restauration)

أ- لغة: هناك من يرى أن هناك علاقة وطيدة بين كلمة الصيانة والحفاظ لأن كلاهما يرجع اشتقاقهما اللغوي من الفعل Servar، الذي يرجع اشتقاقه اللغوي من الكلمة اليونانية Stauros التي تعني الإلابح والتدعيم، وكانت تطلق كلمة المرّم Restaurateur في دول أوروبا كفرنسا إبان القرن الثامن عشرة على الممرّض الذي يساعد الجراح أثناء القيام بعملية جراحية، ثم أصبح يطلق على كل من يقوم بتهيئة وإلابح كل ما له علاقة بالتحف الفنية.

المعلم التاريخي من اللخبيار أو التلف، وهناك من يعرفه على أنه عملية لتمام إلابح في الحالات القصوى التي تستدعي إجراء فحولات دقيقة وإضافات وتعديلات بهدف إلابح الضرر الذي ألابح المعلم أو اللقية الأثرية، وعليه أمكن اعتبار الترميم عملية فنية دقيقة بالدرجة الأولى، تتطلب علاوة على العلم والتجربة ذوقاً جمالياً وحساً ومهارةً يدوية فائقة، وهو عملية تهدف أساساً إلى إلابح الأضرار التي نتجت عن العامل البشري أو الطبيعي من أجل أحداث توالل حضاري.

وكتعريف شامل لعملية الصيانة الترميم، أمكن القول أنها إحدى القنوات الأساسية في إيصال ما أنجزه الأسلاف من بصمات مادية من دون ضررٍ و [] تزييف، لضمان التوافق الحضاري في أحسن []ورة ممكنة، وهما عمليتان متكاملتان تكمل الواحدة منهما الأخرى، إذ أنه [] يمكن أن يكتمل نجاح عملية ترميم من دون []يانة دورية، و [] يمكن أن تكون هناك []يانة دورية تفقدية من دون ترميم دقيق وفني جُسد من قبل أو سيجرى فيما بعد، وعليه أمكن القول أن ترميم و []يانة الآثار هو وحدة عمل متكاملة علمية وعملية تراقب وتدرس وتحلل وتفكر بناءً على الأبحاث والمواثيق والخبرات، لكي يكون ترميم الآثار علماً يحافظ على حضارة الأجيال، حتى يبقى الأثر كتاباً مفتوحاً أمام الدارسين لحضارات الشعوب وتاريخها، الأمر الذي جعل من هذه العملية العمودي الفقري وجوهر علم الآثار.

2- نشأة عملية الصيانة والترميم:

ليس من السهل تتبع المراحل التاريخية التي تكشف عن نشأة عمليات ترميم و []يانة الآثار وإمالة اللثام عن تطور هذه العمليات وتلك الفنون بكل دقة، وذلك لعدم وجود وثائق كافية يمكن [] استناد عليها لتوضيح هذه الحقائق، ولكن يمكن القول استناداً إلى مضمون مصطلح Restoration الذي يعني []لاح وعلاج ما تلف من الأشياء المادية التي لها قيمة نفعية أو جمالية أو تراثية بالنسبة للإنسان، وعرفت عمليات الترميم والإ []لاح منذ أن عرفت حياة [] استقرار واتخاذ الإنسان له مسكناً سواء مشيداً من جذوع النخيل أو الأشجار، ومسقفٍ بسعف النخيل والنباتات الجافة المختلف وسطحه الخارجي مغطى في بعض المراحل التاريخية بطبقات من الطين لسدّ الفراغات التي قد توجد بين جذوع الأشجار والنخيل، كما توّ []ل الإنسان بعد ذلك إلى تشييد منزل أكثر قوة و []لابة من هذا المنزل البسيط، حيث قام بتشبيده بالطوب اللبن المخلوط بالتبن، وعندما كانت تتعرض للانحيار بفعل الزل []زل الأمطار أو العوا []ف الرعدية أو الحرائق وغيرها من العوامل الطبيعية المختلفة كان يعيد بنائها أو []لاح ما قد تلف من أجزائها.

وعلى ضفاف نهر وضع الفراعنة أسس حضارة ذاع صيتها في العالم ككل، ولم تنحصر أعمالهم فيما له علاقة بالتشييد والنحت والرسم وغير ذلك، بل اعتنوا أيضاً بمجال الصيانة والترميم، فقد أقدموا على حفظ الموميات من التلف اعتماداً على طرق معينة تعتمد على حشو القفد الصدري والبطن والجمجمة بقطع من القماش يحتوي مواد راتنجية، مع لب الزيوت لسد المسامات، ومن هنا تتأكد لنا أن عملية الصيانة والترميم عُرفت عند الفراعنة ولو بمفهوم مغاير.

وكذا يمكن اعتبار هذه العمليات البدائية البدايات الأولى لنشأة ترميم المنشآت المختلفة وإصلاح ما قد تلف، مع إنشاء المعاهد الأكاديمية المتخصصة في تدريس علم صيانة وترميم الآثار وغيره من العلوم المساعد وانتشار مراكز صيانة الآثار في كثير من بلدان العالم المتقدمة مع مطلع القرن العشرين وأبحاث الدراسات العلمية والتجارب الميدانية التطبيقية التي يقوم بها خبراء صيانة الآثار في شتى مراكز ومعاهد صيانة الآثار الدولية هي المعين الذي يطور علم صيانة الآثار ويمده بالحياة.

3- الطرق المتبعة في عملية الترميم:

يتطلب العمل إلى نتيجة مرضية في عملية الترميم استعانة بأكثر من طريقة، وعليه نذكر أهمها كالآتي:

3-1 الترميم المعماري: يهتم هذا النوع على إقامة المباني المنهارة، واستبدال الأجزاء المتآكلة مثل مداخل الأبواب والعنابر المعمارية بمواد حديثة بشرط أن تتماثل مع مواد بناء الأصلية في طبيعتها وشكلها ومظهرها.

3-2 الترميم الهندسي: ينحصر عمل هذا النوع في عزل وتدعيم وحقن الجدران وغيرها من من العنابر المعمارية كالسقوف والقباب... إلخ، ويعنى الترميم الهندسي أيضاً بمعالجة ما يتأتى عن مياه الرشح والرطوبة، وفي جميع هذه الحالات لابد من استعانة بمواد بناء تتوافق مع المواد الأصلية.

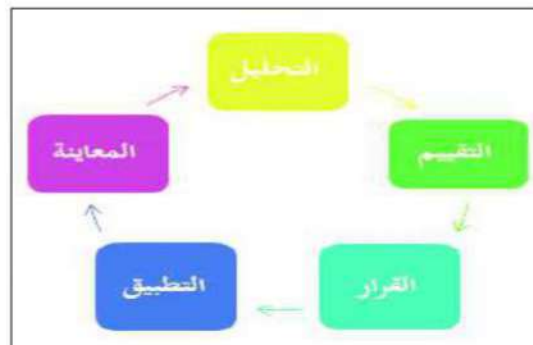
3-3 الترميم الدقيق: يقوم هذا النوع من الترميم على ملئ الشقوق والفجوات وحقن الشروخ النافذة في الجدران وغيرها، وتتبيث القشور السطحية الآيلة للسقوط، وعلاج النقوش الجدارية والزخارف

والحليات وتنظيف وتثبيت الألوان وتجميع وتقوية الكتل الحجرية واستخلاص الأملاح وترميم جميع العناصر المعمارية المرتبطة بالنحت والنقش والتصوير.

4-مراحل عملية الترميم:

يعتبر الأثر بصرف النظر عن ماهيته عملاً فنياً خالصاً، لذلك يجب على المرمم ان يتمتع بحسٍّ فنيٍّ راقٍ حتى لا يكون الترميم مسخاً يفقد الأثر أثرته، هناك من يرى أنه لا بد على عملية الترميم أن تمر بست خطوات حتى تؤدي ثمرها على أكمل وجه حيث يتم التركيز في الخطوة الأولى قبل بداية المشروع على إعداد دراسة مستفيضة معمّقة للمعلم التاريخي

الذي ستجرى له عملية الترميم، باستخدام وسائل علمية، حتى يتم ضبط الطريقة المناسبة التي تضمن نجاح العملية، ثم تأتي بعدها عملية التقييم التي تتلخّص في تقدير مستويات الضغوط والتشوهات المحتمل وقوعها بعد تحليل المعطيات المتحصل من الخطوة السابقة، ويكون ذلك إعتماً على العلوم المساعدة كالمهندسة المعمارية والمدنيو والكيمياء.... إلخ، وبعد ذلك تأتي مرحلة القرار التي يتخذ فيها الأسلوب المناسب الذي لا يضر بالمعلم التاريخي، بعد الوقوف وتقييم النتائج المحتمل حدوثها سابقاً، وعقب اتخاذ القرار يتم مباشرة الأشغال الختمة بالترميم، وتطبيق ما تمّ تحييصه من معطيات ونتائج، وبعد استكمال العملية يُعاين المعلم التاريخي من جميع جوانبه، أي الفنية والإنشائية معاً، لأنه ربما تحدث انعكاسات سلبية فيما بعد لم يحسب لها جيداً، بناءً عليه لا بد من تفقد المعلم التاريخي بانتظام طيلة الأسابيع الأولى التي تلي انتهاء من العملية، والرسم التخطيطي الآتي يوضح ما أتينا على ذكره:



الرسم التخطيطي رقم(01): يبين مراحل ومتطلبات عملية الترميم المعالم التاريخية

5- الشروط العامة الواجب اتخاذها في عملية الصيانة والترميم:

□ بد على القائم على عملية الصيانة والترميم أن يضع في حسبانته مجموعة من الشروط، حينما يبدأ في إجراء العملية، لكي □ يضر بقيمة الأثر، و□ يسقط في فخ الترميم الخاطئ الذي يعد أحد عوامل التلف المباشرة للآثار المادية، ومن بين الشروط والقواعد الأساسية الواجب أخذها بعين □ اعتبار نذكر مايلي:

- تحديد المواد الداخلة في تركيب المبنى الأثري المراد □ ياتته وترميمه.
 - تحديد عوامل التلف السائدة كنقطة أولى لدراسة تأثيرها، وكيفية تلافي أخطارها.
 - تحديد نوع التلف، ودراسة الظروف والمحيط الذي يوجد فيه المعلم التاريخي أو الموقع الأثري.
 - تحديد موا □ فات المواد □ جب استخدامها في عملية الصيانة والترميم.
 - اختيار الأسلوب الأنجح المتبع في □ يانة وترميم الأثر موضوع هذه العملية.
- وكخاتمة لما تم ذكره من معلومات عن الصيانة والترميم، أمكن القول أنها جوهر علم الآثار، فلم يعد اكتشاف الآثار المادية وحده هو الهدف الأسمى، بل أ □ ببح أمر الحفاظ عليها وإيصالها للأجيال اللاحقة هو الأهم، هو الأمر الذي جعل من عملية الصيانة والترميم أحد اللبانات الأساسية في تسيير الممتلكات الثقافية واستغلالها.